في صحّة الوطن

شعر

عبد الرّحمن يوسف

الطبعة الثالثة

في صحة الوطن

شعر عبد الرحمن يوسف

لَنْ يُصَدّقني أحَدٌ إذا قلتُ إنّ هذا الديوان لَيْسَ ضِدّ شَخْصٍ، أو حُكُومَةٍ، أو نِظَامٍ بعَيْنِه!.

وحِينَ قَرَّرْتُ نشْرَه نصحني الكثيرون بأنْ لا أفعل!

لذلكَ - وقطْعَاً - سأتحمّلُ نتيجَةَ نشْرِه وحْدي،

النتيجَة سَتَكُونُ رقمَاً لا يَقبلُ القسمَةَ إلا عَلى شَ

أمّا سَبَبُ تصميمي عَلَى نَشْرِه، فلأني لَسْتُ المُقَ

يُطْلِقُ الطّلْقَةَ.. بَعْدَ انتهَاءِ المعركَةِ!!!.

٧ /

تصميم الغلاف تامر يوسف

دار الشاعر للنشر والتوزيع

دار العلوم للنشر والتوزيع

في صحة الوطن

اسم الديوان : فِي صِحَّةِ الوَطَنِ ...
أشعار : الشاعر / عبد الرحمن يوسف
الطبعة : الثالثة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ولا يجوز إعادة طبع أو اقتباس أي جزء منه بدون إذن كتابي من الناشر.

الناشر : دار الشاعر للنشر والتوزيع
١٨ ب شارع ٢٦ يوليو - وسط البلد - القاهرة
ت : ٠١٢٢٧٩١٩٧٩٢ (٢+)
الموقع على الإنترنت : www.arahman.net
البريد الإلكتروني : arahman@arahman.net
info@arahman.net
توزيع : دار العلوم للنشر والتوزيع
٢٩ شارع ٩ - ثكنات المعادي
هاتف وفاكس : ٢٣٥٩٣٩١٨ (٠٢٠٢+)
البريد الإلكتروني : daralaloom@hotmail.com

اللوحات الداخلية والغلاف : د. سامي صلاح

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٩٦٦٥
التجهيزات : 4F تليفون / فاكس ٣٥٤٢٤٦٣٠ (٠٢٠٢+)

في صحة الوطن

شعر

عبد الرحمن يوسف

دار الشاعر للنشر والتوزيع

دار العلوم للنشر والتوزيع

فهرس

القصيدة	الصفحة
إهْـدَاء	٧
مقدمة	٩
قَانُونُ الدَّوْلَةِ	١١
إلى الأبَدْ	١٧
زمَنُ الخِصْيَانِ	٢١
سَائِقَ الأظْعَانِ	٣٣
الأُمَّةُ والدَّوْلَةُ	٤١
صَلَوَاتُ مُلْحِدٍ	٤٧
قَبْلَ الشُّرْبِ	٦١
فِي صِحَّةِ الوَطَنِ ...	٦٥

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

إهْـــدَاء

إلى كُلِّ الذين ساعدُوني لكي أنشر هَذا الديوان ...
وإلى كُلِّ الذين وقفوا في طريق نشره !

عَبْد الرَّحْمَٰن يُوسُف

٢٠٠٤/٥/٧م

مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان في يونيو ٢٠٠٤م في لحظات يأس عربية لا مثيل لها بسبب سقوط بغداد في يد المحتل الأمريكي.

ظروف الطبعة الأولى من هذا الديوان كانت شديدة الصعوبة، بسبب محتواه الذي يصعب أن تقبل طباعته أو نشره أية مطبعة، وقد كانت قصائد هذا الديوان ضربة معول من معاول كثيرة هشمت أسطورة الرئيس الفرد في كثير من الدول العربية.

كنت أشعر أنني سأتحمل نتائج هذه الأشعار وحدي، ولم أكن أعرف أن هذه الأشعار سيتداولها جيل كامل في شتى بقاع الأرض.

إن انتشار هذه القصائد مرجعه إلى القارئ الذي صدَّقَها، وآمنَ بها، ونشرها مقروءة مسموعة عبر أثير الشبكة العنكبوتية...

هذه الطبعة الثالثة من الديوان (في صحة الوطن)، وقد شاء الله أن تصدر في لحظات أمل عظمى، بعد أن قامت ثورة يناير في مصر، وبعد أن حل الربيع العربي في تونس واليمن وسوريا وليبيا (والبقية تأتي) .

لا بد أن أشكر القارئ الذي نشر كل هذه الأشعار، في وقت لم يكن للشعر فيه صوت، ولم يكن للشاعر فيه جمهور...

شكرًا لكل قارئ صدق شيئًا ما في هذه القصائد...

عَبْد الرَّحْمَن يُوسُف

قَانُونُ الدَّوْلَةِ

أدِّ الـــسَّلامَ لِحَـــضْرَةِ الـــضُبَّاطِ

يَتَجَمَّلُـــونَ بِـــسَائِرِ الأنْـــواطِ

ألْـقِ الـسَّلامَ ... وقُـلْ تَقَـدَّسَ سِـرُّكُمْ

فُقْـــتُمْ جَمِيَـــعَ الرُّسْـــلِ والأسْـــبَاطِ

قُـــدْتُمْ سَـــفِينَتَنَا لأسْـــوَأ لُجَّـــةٍ[1]

غَرَقًـــا بِبَحْـــرِ الـــذُّلِّ والإحْبَـــاطِ

فـالبَطْنُ يَأكُـلُ جُوعَـهُ فِي عَهْـدِكُمْ

والظَّهْـرُ يَأكُـلُ مِـنْ لَهِيـبِ سِـيَاطِ

---

(١) اللجّة : تلاطم موج البحر .

قَامَـتْ قِيَامَـةُ دَوْلَـتي ... وكَبِيرُهَـا

يَـشْدُو بِخُطْبَتِـهِ كَـصَوْتِ ضُـرَاطِ !

قَامَـتْ قِيَامَتُنَـا ... وجُـلُّ قِيَـادَتِي

يَتَرَقَّبُـونَ بِدَايَـةَ الأشْـرَاطِ !

خُـصِيَتْ جُيُـوشُ الحَـقِّ قَبْـلَ أوَانِهَـا

والفِكْـرُ ... مَعْهُـودٌ إلى لَـوَّاطِ !

وخِـزَانَتي فِي كَـفِّ لِـصٍّ أرْعَـنٍ

و « التلفـزون » مَضَى بِنَهْجِ الخَـاطِي

فَحَظُـوا بِلَعْـنِ المُـسْلِمِينَ جَمِـيعِهِمْ

وحَظُـوا بِـسَبِّ الـدِّينِ مِـنْ أقْبَـاطِ

وغَـدَا شِـعَارُ النَّـاسِ بَعْـدَ عُلُـوِّهِمْ

فَـوْقَ الجَمِيـعِ ... أيَـا مُـوَاطِنُ طَـاطِي

والـشَّعْبُ والأَرْضُ الحَبِيبَـةُ أمْـسَيَا

جِـرْمَيْنِ في فَلَـكٍ بِغَيْـرِ رِبَـاطِ

نَمَـطُ الطُّغَـاةِ الحَـاكِمِينَ بِلَيْلِنَـا

يَنْفِـي دَوَامًـا سَـائِرَ الأنْمَـاطِ

نَمَـطٌ عَقِـيمٌ ، مُـسْتَبِدٌ ، أرْعَـنٌ

و يَقُـولُ : « إنَّ الـنَّهْجَ ديمُقْرَاطِـي »

هَـذا هُـوَ القَـائِلُ عِنْـدَ حُكُـومَتي ...

تَـدْعُو إلى التَّفْـرِيطِ والإفْـرَاطِ !

هَـــذا هُـــوَ القَـــانُونُ فِي بُلْـــدَانِنَا

يُخْزَى الكَـرِيمُ ... ويَسْتَبِدُّ الـوَاطِي !

هَـذا هُـوَ القَـانُونُ يَبْـدُو وَاضِـحًا ...

مِـــنْ دُونِ تَفْكِـــيرٍ ولا اسْـــتِنْبَاطِ !

قَـانُونُ لَيْـلِ الظُّلْـمِ ... يُـذْبَحُ بُلْبُـلٌ

كَـيْ يَـسْتَرِيحَ جَـلالَةُ الوَطْـوَاطِ

قَـانُونُ دَوْلَتِنَـا صَـرِيحٌ وَاضِـحٌ ...

أدِّ الـــسَّلامَ لِحَـــضْرَةِ الـــضُّبَّاطِ

القَاهِرة
٦,٠٠

٢٠٠٢/٦/٢٥
صَبَاحًا

إِلَى الأَبَدْ

يَحْيَـــا الـــرَّئِيسُ لـلأبَـــدْ ! يَحْيَـا هُـوَ الفَـرْدُ الـصَّمَدْ !

لَـــهُ صِـــفَاتُ رَبِّنَـــا ، لَـكِنَّـــهُ ... لَـــهُ وَلَـــدْ !

بِـــهِ نَعُـــوذُ مِـــنْ جَـــوًى[1] وحَاسِـــــدٍ إذَا حَـــسَدْ

بِـــــهِ نَلُـــــوذُ دَائِمًـــــا مِـــنْ فَاقَـــةٍ ومِـــنْ كَمَـــدْ

نَـــرَاهُ مَـــعْ عَـــدُوِّنَا مُنْبَطِحًـــا بـــلا جَلَـــدْ [2] !

لَـكِنَّـــهُ مَـــعْ كُـــلِّ أهْـــ ـلِ أرْضِـنَا كَمَـا الأسَـدْ !

نُحِبُّـــــهُ - بِـــــالطَّوْعِ أو بِـــالكَرْهِ - ذَلِـكَ الرَّشَـدْ

يَعِـــــيشُ فِي تَقَـــــشُّفٍ وفِي « الفُلُوسِ » قَدْ زَهَدْ !

لِـــذَاكَ رَبِّـــي خَـــصَّهُ أرْصِـــدَةً بِـــلا عَـــدَدْ ... !

* * *

(١) الجوى : الحُرقة الشديدة من شدة الغرام أو من شدة الألم .

(٢) الجَلَد : القوة والشدة .

مُكْتَمِلٌ .. وكَامِلٌ ، لِذَاكَ لَيْسَ يُنْتَقَدْ !
الصَّالِحُونَ حَوْلَهُ ، ولَيْسَ فِيهِمْ مَنْ فَسَدْ !
دَوْمًا يَصُونُ مَالَنَا ، وصَادِقٌ إذَا وَعَدْ .. !
قَدْ كَانَ دَوْمًا كَادِحًا ، والحَقُّ .. مَنْ جَدَّ وَجَدْ !
قَدْ كَانَ دَوْمًا نَابِهًا ، ولَيْسَ فِيهِ مِنْ عُقَدْ !
وذِكْرُهُ فِي صَادِقِ الـ ـقُرْآنِ فِعْلاً قَدْ وَرَدْ
واقْرَأ - إذَا كَذَّبْتَنِي - آخِرَ سُورَةِ البَلَدْ
يَا رَبِّ ... طَوِّلْ عُمْرَهُ وعَهْدَهُ ... إلى الأبَدْ !

القَاهِرة
٥,٠٠

٢٠٠٤/١/١٦
صَبَاحًا

زمنُ الخصيانِ

قَـــسْوَةُ اليَـــوْمِ ألجَأتْنَـــا لأمْـــسِ

فَتَفَاخَرْنَـــا ... رَغْـــمَ ذُلٍّ وبُـــؤْسِ

بِـــذْرَةُ الخَـــوْفِ أيْنَعَـــتْ فِي رُبَانَـــا

ونَـــسِينَا مِـــنْ أمْـــسِنَا ألْـــفَ دَرْسِ

كَـــسُلالاتِ جِيفَـــةٍ[1] قَـــدْ غَـــدَوْنَا

وانْقَرَضْـــنَا ... كَفِكْـــرَةٍ دُونَ رَأسِ

وقَرَعْنَـــا الكَـــلامَ طَبْـــلَ خُـــوَاءٍ

وزَرَعْنَـــا الظَّـــلامَ فَـــوْقَ الـــشَّمْسِ

(١) جيفة : جثة الميت إذا أنتنت وفاح ريحها .

كَيْفَ نَرْقَى وقَدْ غَزانَا عِدَانَا ؟

وأبَحْنَا لِزُورِهِمْ أَلْفَ قُدْسِ ؟

كَيْفَ ؟ والسِّجْنُ ضَمَّ شَعْبًا كَسِيحًا

وزَعِيمٌ « مُحَنَّطٌ » فَوْقَ كُرْسِي ؟

* * *

شَبَحُ اللَّيْلِ جَاثِمٌ فَوْقَ أرْضِي

وقُلُوبٌ مَلأى بِكُرْهٍ وبُغْضِ

لُغَةُ الحِقْدِ سَيْطَرَتْ في كَلامِي

وأرَى بَعْضِي صَارَ يَكْرَهُ بَعْضِي

أنَا شَعْبٌ ... في حَاضِري صِرْتُ عَبْدًا

وخَيالي ... نَحْوَ التَّحَرُّرِ يَمْضِي

صِرْتُ مِنْ جُوعِي في السُّجُونِ نَحِيلاً

وتُغَنِّي الأبْوَاقُ طُولي وعَرْضِي !

أنَا مَا كُنْتُ عَاهِرًا ذاتَ يَوْمٍ

كَي يَبِيعَ القَوَّادُ في اللَّيْلِ عِرْضِي

فِي عُـصُورِ اللَّيْـلِ الـسَّحِيقِ مُقِـيمٌ

بَيْـدَ أنِّـي مَـا نِلْـتُ لَحْظَـةَ غَمْـضِ[1] !

* * *

(١) لحظة غَمْض : أي لحظة نوم .

يَـصْرُخُ الحَـقُّ فِي مَجَـالِسِ طُـرْشِ
كَـدَفِينٍ بَـيْنَ المَقَـابِرِ يَمْـشِي

وحَيَـاةٌ ... كَوَحْـشَةِ المَـوْتِ صَـارَتْ
ومَمَـاتٌ ... يَحْـوِي مَـرَارَةَ عَـيْشِ

يُولَـدُ الطِّفْـلُ عِنْـدَنَا مَخْـصِيًّا
يُحْـرَمُ الحُـبَّ فِي مَرَاحِـلِ طَـيْشِ !

جَـائِعٌ شَـعْبِي ... والطَّعَـامُ كَـثِيرٌ
والقِيَـادَاتُ تَـسْتَجِمُّ بِكَـرْشِ

أُمَّـةُ الـشَّمْسِ اسْتَـسْلَمَتْ لظَـلامٍ
وزَعَامَـاتٍ تَـسْتَبِدُّ بِجَـيْشِ

حَالُنَـــا ... قَيْـــدٌ فِي زَنَـــازِينِ ذُلٍّ

ورَئِـــيسٌ مُخَلَّـــدٌ فَـــوْقَ عَـــرْشِ !

* * *

حَائِطُ السِّجْنِ عَنْ دَمِي صَارَ يَحْكِي
ولِسَانِي مُقَيَّدٌ تَحْتَ فَكِّي

وأنَا مُهْرٌ ... أصْطَلِي بِلِجَامِي
كَيَقِينٍ ... مُعَذَّبٍ بالشَّكِّ !

قَدْ نَسيتُ الصَّهِيلَ مِنْ طُولِ كَبْتِي
وتَعَلَّمْتُ - إنْ تَكَلَّمْتُ - أبْكِي !

تَعِبَ القَيْدُ مِنْ تَذمُّرِ شَعْبِي
بَاتَ يَشْكُو فَمَلَّ مِنْهُ التَّشَكِّي

ورِوَايَاتٌ ... عَنْ تَحَرُّرِ أرْضِي
قَدْ أُذِيعَتْ عَلَى المَلا دُونَ حَبْكِ

أنْتَنَــتْ ريــحُ ذُلِّنَــا ثُــمَّ فَاحَــتْ

ويَقُولــون : « إنَّهَــا ريــحُ مِــسْكِ » !

* * *

مَسَّني الـذُّلُّ ... رَغْـمَ شِـدَّةِ حِرْصِـي

كَنُيُـوبٍ تَمَكَّنَـتْ بَعْـدَ رَبْـصِ[1]

أنَـا شَـمْسٌ ... لـكِـنَّني رَغْـمَ وَهْجِـي

مَلَـكَ الثَّـلْجُ والظَّـلامُ بِقُرْصِـي

قَـدْ تَوَحَّـدْتُ فِي الـشَّدَائِدِ شَـعْبًا

بَيْـدَ أنِّـي مَلَلْـتُ مِلْيُـونَ « عَـرْصِ »[2]

قِلَّـةٌ بَاعَـتْ فِي الأزِقَّـةِ عِـزِّي

يَـرْخُصُ التَّـاجُ بَـيْنَ كَفَّـيْ لِـصِّ !

(١) ربص : أي تربُّص .
(٢) عرص : لفظة عامية مصرية، ومَن يرد معناها فليسأل أول مصري يلتقيه !

يَـــا زَعَامَـــاتِ أُمَّـــةٍ ... أدْرِكُوهَـــا

وامْنَحُـوا لَيْـلَ شَـعْبِكُمْ أيَّ بَـصٍّ[1]

كَيْـــفَ نَرْقَـــى بِقَـــادَةٍ جُبَنَـــاءٍ

كُلُّهُـمْ - فِي نِهَايَـةِ الأمْـرِ - مَخْـصِي !

القَاهِرة
٤.٠٠

٢٠٠٠/١٠/٢١
صَبَاحًا

(١) البَصُّ : اللمعان والتلألؤ ، والمراد : النور .

سَائقَ الأظْعَانِ [1] !

(١) هذه القصيدة معارضة لقصيدة ابن الفارض الشهيرة ، ومطلعها :

سَائِقَ الأظْعَان يَطْوي البِيدَ طَيْ مُنْعِمًا عَـرِّجْ عَلى كُثْبَـــان طَيْ

وهي قصيدة لا نظير لها في الشعر العربي ، فلم ينسج على هذا المنوال إلا ابن الفارض ، نظرًا للصعوبة الشديدة للقافية .

وقصيدتي بنفس المطلع وإن لم تكن في نفس الموضوع ! حيث إن الأولى عن الحب الإلهي ، وهذه تعتبر تعليقا على مقتل عُدَيّ ، وقُصَيّ ابني صدام حسين !

« سَائِقَ الأَظْعَانِ[1] يَطْوِي البِيدَ طَيَّ »

كَمْ لَدَيْنَا مِنْ « عُدَيٍّ » و « قُصَيّْ » !

« سَائِقَ الأَظْعَان يَطْوِي البِيدَ طَيَّ »

مَاتَ كَلْبَانِ فَكَمْ قَدْ بَاتَ حَيّْ ؟

سَائِقَ الأَظْعَان لا تَرْحَلْ بَعِيدًا

إنَّ دَمْعَ الأَرْضِ أدْمَى مُقْلَتَيّْ

أنَا مَنْ حَرَّرْتُ أرْضِي مِنْ دَخِيلٍ

وأَخِي جَاءَ فَأَعْيَا مُنْكِبَيّْ

(١) الأظعان : أي جمال القافلة المسافرة .

مِحْنَتِي فِي حَاكِمِي ، لا مَنْ غَزَانِي

هُـوَ فِي الأَوْطَـانِ أَحْـزَى مِحْنَتَـيْ

قَـصْرُهُ لِـي قِبْـلَةٌ بالرَّغْـمِ مِنِّـي

حِـينَ فَرْضِـي صَـارَ أُوْلى كَعْبَتَـيْ

كَـمْ دِمَـاءٍ قَـدْ أَسَـالَ الوَغْـدُ مِنِّـي

سَـيْفُهُ مَـا كَـانَ لِـي ، لا .. بَـلْ عَلَـيْ

ذَاقَ ذُلَّ القَهْـرِ مِـنْ جَـيْشٍ دَخِيـلٍ

مُنْيَتِـي لَـوْ ذَاقَ قَـتْلاً بِيَـدَيْ

لَحْظَـةُ التَّحْرِيـرِ ؟ أَمْ لَحْظَـةُ ذُلِّـي ؟

مُرْهَـقٌ إِنِّـي هُنَـا فِي لَحْظَـتَيْ

أنَـا لا أشْـمَتُ ، لَكِـنَّ نُهُوضِـي
كَـانَ مَرْهُونًـا بِتَقْتِيـلِ أُخَـيَّ !

* * *

سَـائِقَ الأظْعَـان .. أسْـرِعْ .. فَطَرِيقِـي
نَهْـضَةٌ بِـالرَّغْمِ مِـنْ جَـيْشٍ خُـصَيَّ[1]

تِلْـكَ أرْضِـي لَـيْسَ يُـضْنِيهَا احْـتِلالٌ
لَـيْسَ لِلأغْـرَابِ فِيهَـا أيُّ شَـيَّ

ذلِـكَ المُحْتَـلُّ مَطْـرُودٌ سَـرِيعًا
مَـا لَـهُ مِـنْ شَـمْسِ إصْـرَارِيَ فَـيَّ[2]

---

(١) تصغير خَصبي .
(٢) فيّ هُنَا بمعنى الظل .

هَـــذِهِ الأَوْطَـــانُ للتَّحْرِيـــرِ عَهْـــدٌ

مِـــنْ أَبـــي وَثَّقْتُـــهُ حَتَّـــى بُنَـــيّْ

عَـاجِزٌ مَـعْ أَهْـلِ حُكْمِـي ، وقَـديمًا

عَلَّمُونَـــا : « آخِـــرُ الأَدْوَاءِ كَـــيّْ ! »

وإِذَا مَـــا عَجَـــزَ الكَـــيُّ فَحَتْمـــًا

سَـــوْفَ نَـــشْوِي قَائِـــدَ الخَيْبَـــةِ شَـــيّْ

ديـــنُ حُكَّـــامِي كَـــلامٌ وَوُعُـــودٌ

حُكْمُ دينِ الوَغْدِ : دينُ الوَغْدِ لَـيّْ[1] !

(١) ليّ : أي المماطلة ، والسير على غير استقامة ، ويطلق على الكذب كذلك .

كَـمْ لَـدَيْنَا مِـنْ رَئِـيسٍ أَلْمَعِـيٍّ[1]

قَـدْ جَنَـى فِي حَـقِّ أُولَـى قِبْلَتَـيْ

نَحْوَ أَرْضِ القُدْسِ قَالُوا سَوْفَ نَمْضِي

واسْتَبَاحُوا مَـالَ ذَاكَ الجَـارِ فَـيْ[2] !

بَعْـدَ أَنْ كُنْـتُ غَنِيًّـا بِـبِلادِي

رَهَـنَ القُـوَّادُ مَـا كَـانَ لَـدَيْ

هَـذِهِ أَوْطَانُنَـا تَقْطُـرُ ذُلاً

وقُيُـودٌ قَـدْ أَهَانَـتْ سَـاعِدَيْ

---

(١) الألمعي : الداهية الذي لا يخطئ في الأمور .

(٢) فيّ هنا أي فيئًا حلالاً ، والمعنى الدقيق للفيء : هو المال الذي يستولي عليه الجيش بدون قتال ، بعكس الغنيمة تكون بعد قتال .

سَـائِقَ الأظْعَـان .. للـصَّبْرِ حُـدُودٌ

واصْـطِبَاري بَعْـدَ هَـذا اليَـوْمِ غَـيّْ[1]

سَـائِقَ الأظْعَـان .. تَحْريـري قَريـبٌ

قَـدْ هَتَفْنَاهَـا : « عَلَـى التَّحْريـرِ حَـيّْ »

سَـائِقَ الأظْعَـان .. فَلْيَـسْقُطْ نِظَـامٌ

زَادَ مِنْـهُ الـشَّعْبُ فَـوْقَ العَـيِّ عَـيّْ[2]

سَـائِقَ الأظْعَـان .. أرْجُـوكَ تَمَهَّـلْ

كَـمْ لَـدَيْنَا مِـنْ عُـدَيٍّ .. وقُـصَيّْ !

القَاهِرة
٣,٠٠

٢٠٠٣/٧/٢٨
صَبَاحًا

(١) الغي : هو الضلال .

(٢) عي : من الإعياء .

الأُمّةُ والدّولةُ (١)

(١) هذه القصيدة مهداة إلى المفكر الكبير والكاتب العربي د. رفيق صموئيل حبيب ، ولها نفس عنوان الكتاب الرائع الذي ألّفهُ « الأُمّةُ والدّوْلةُ » وقد ترك فيّ أكبر الأثر .

لَيْـــلٌ يُقِـــيمُ ، ... وأُمَّـــةٌ مُـــسْتَعْبَدَهْ

وحُكُومَـــةٌ ... أفْكَارُهَـــا مُـــسْتَوْرَدَهْ

أُنْمُوذَجُ الحُكْمِ « المُعَلْمَنِ »[1] سَائِدٌ

والـشَّعْبُ صَـارَ كَفَـأرَةٍ فِي المِـصْيَدَهْ

هِـــيَ دَوْلَـــةٌ قُطْرِيَّـــةٌ ، قَوْمِيَّـــةٌ ،

مَجْهُولَـــةُ الأفْكَـــارِ غَيْـــرُ مُحَـــدَّدَهْ

رَسَـــمَ العَـــدُوُّ حُـــدُودَهَا بِدهَائِـــهِ

كَقَنَابِـــلٍ فَـــوقَ الطَّرِيـــقِ مُعَقَّـــدَهْ

---

(١) المعلمن : أي ذو النهج العلماني المستورد .

أُنْمُـــوذَجُ الغَرْبِـــيِّ في أفْكَارِنَـــا

كَـالرَّبِّ سَـيْطَرَ فَـوْقَ كُـلِّ الأفْئِـدَهْ

كُـلُّ المَـوَارِدِ في بُنُـوكِ سويـسرا

والغَالبيَّـــةُ في ضَـــنَاهَا مُجْهَـــدَهْ

طُـــرُقُ المَذلَّـــةِ عُبِّـــدَتْ ، ودُرُوبُنَـــا

للنَّهْـضَةِ الـشَّمَّاءِ أمْـسَتْ مُوصَـدَهْ

وطَلِيعَـةٌ في الـسِّجْنِ .. أو في هَمِّهَـا

مَحْبُوسَـــةٌ .. والكَثْـــرَةُ المُـــتَرَدِّدَهْ

جُمْهُورُنَـا خَلْـفَ الـسَّرابِ مُـشَرَّدٌ

وقَـــرَائِحٌ مِـــنْ ذُلِّهَـــا مُتَبَلِّـــدَهْ

وقِيَـــادَةٌ بَاعَـــتْ كَرَامَـــةَ شَـــعْبِهَا

رَغْـــمَ الـــيَمِينِ ... وقِلَّـــةٌ مُتَمَـــرِّدَهْ

مَـا زَالَ بُـوقُ القَـصْرِ يَنْعِـقُ وَاعِـدًا

بالخَيْرِ .. كَمْ ذَا القَصْرُ أخْلَفَ مَوْعِدَهْ

دَرْبُ التَّحَـــرُّرِ أنْ تُقَيِّـــدَ دَوْلَتِـــي

بِـــإرَادَةٍ للـــشَّعْبِ غَيْـــرِ مُقَيَّـــدَهْ !

هُـــوَ مَـــشْهَدُ التَّحْرِيـــرِ فِي أذْهَانِنَـــا

كَـمْ أبْـصَرَ الأحْـرَارُ حُلْمًـا مَـشْهَدَهْ

أوْرَاقُ كُـلِّ اللّعْـبِ عِنْـدَ حُكُـومَتِي

ويَـدُ النُّهُـوضِ مِـنَ الـسِّلاحِ مُجَـرَّدَهْ

مِـضْمَارُهُمْ لحِـصَانِهِمْ .. وسِـبَاقُهُمْ

كَـرِوايَـــةٍ هَـزْلِيَّـــةٍ مُتَفَـــرِّدَهْ

مَـا بَـيْنَ صُـنْدُوقِ انْتِخَـابٍ بَاطِـلٍ

وجُنُـودِ أمْـنٍ بالرَّغِيـفِ مُهَـدَّدَهْ

مَـا بَـيْنَ تِلْفَـازٍ يُـصَفِّقُ دَائِمـًا

وعَمَـائِمٍ لِقِيَـادَتِي مُتَـوَدِّدَهْ

مَـا بَـيْنَ كُتَّـابٍ تَخَتَّـر حِبْـرُهُمْ

ومَحَـاكِمٍ مِـنْ عَـسْكَرٍ مُتَـسَيِّدَهْ

مَـا بَـيْنَ أحْـزَابٍ « خَيَـالُ مَآتَـةٍ »

ووزَارَةٍ عَـنْ أيِّ حَـقٍّ مُقْعَـدَهْ

دِيسَتْ مَطَامِحُنَا ، وصَوْتُ إذَاعَتِي

يَعْلُو .. يُبَايِعُ .. بَيْعَةً مُتَجَدِّدَهْ !

القَاهِرة
٤,٠٠

٢٠٠٤/١/١٦
صَبَاحًا

صَلَوَاتُ مُلْحِدٍ

الصَّلاةُ الأُولَى :

أَدْعُوكَ يَا رَبَّ هَذَا الْكَوْنِ مِنْ شَجَنِي

أَنَـا الْمُعَـذَّبُ بَـيْنَ الْقَبْـرِ وَالكَفَـنِ

مَـا زِلْـتُ أَسْـجُدُ طُـولَ اللَّيـلِ مُبْـتَهِلاً

أَفِـرُّ لِلـدِّينِ كَـيْ أَنْـسَى بِـهِ حَزَنِـي

أَمْسَكْتُ مِسْبَحَةً كَانَتْ بِكَفِّ أَبِي

تَمْتَدُّ فِي الطُّولِ مِنْ « وَهْرَانَ » « لِلْيَمَنِ »

أُسَـبِّحُ اللّٰهَ ... وَالـشَّيْطَانُ يَمْلِكُنِـي

أُكَـرِّرُ الـوِرْدَ فِي صَحْوٍ وَفِي وَسَنِ[1]

وَبَعْـدَ إنهَـاءِ وِرْدٍ لَـسْتُ أفْهَمُـهُ

صَـلَّيْتُ لَحْنًـا عَلَـى قِيثَـارَةِ الـوَطَنِ !

*

(١) الوسن : النعاس من غير نوم أو النوم الخفيف .

الصَّلاةُ الثَّانِيةُ :

أُمَارِسُ الكُفْرَ أشْكَالاً مِنَ الحِرَفِ

وأنْحِتُ الدِّينَ آيَاتٍ عَلَى الخَزَفِ

بِالعَمْدِ أتْرُكُ كُفْرِي بَابَ صَوْمَعَتِي

كَي ألْتَقِي جَوْهَرَ الإيمَانِ بِالصُّدَفِ

أدْعُوكَ يَا رَبُّ .. وَالإلْحَادُ دَاهَمَنِي

حَتَّى رَأَيْتُ طُقُوسَ الدِّينِ كَالْخَرَفِ

صَـلَّيْتُ تَحْـتَ صَـلِيبٍ فِـي كَنَائِسِهَا

وَجُـرِّحَ الـصَّدْرُ فِي دَرْبِـي إِلَـى النَّجَـفِ

دَرْبُ الـسَّعَادَةِ فِـي الإِيمَـانِ أَحْـسَبُهُ

لَـكِنَّـهُ قَـدْ بَـدَا دَرْبًـا إِلَـى تَلَفِـي[1] !

*

(١) تلفي : أي موتي .

الصَّلاةُ الثَّالِثَةُ :

بَيْنَ الحْضَيضِ وَبيْنَ الشَّمْسِ مَنْزِلَتِي
أَعْلُو وَأَهْبِطُ فِي شَوْقٍ إِلَى سِنَةِ[1]

مَا زِلْتُ أَطْلُبُ إِيمَانًا يُثَبِّتُنِي
وَشَهْقَةُ الكُفْرِ كَالْمِنْطَادِ فِي رِئَتِي

أَنَّى سَجَدْنَا نَرَى مِن فَوْقِنَا صَنَمًا
وَنَذْكُرُ اللّهَ فِي أَحْضَانِ رَاقِصَةِ !

(١) السِّنَةِ : النعاس من غير نوم أو النوم الخفيف .

هَـذِي الطُّقُـوسُ مِـن الإِيمَـانِ فَارِغَـةٌ

وِمِلْؤُهَـــا الكُفْـــرُ للعَـــيْنِ المُدَقِّقَـــةِ

يَا مُلْحِدُونَ ... كَفَاكُمْ شَكْلَ دِينِكُمُو

فَـاللهُ يَكْـشِفُنَا مِـنْ كُـلِّ نَاحِيَـةِ !

*

الصَّلاةُ الرَّابِعَةُ :

هَرَبْتُ مِنْ مَسْجِدِي خَوْفًا مِنَ الحَبْسِ

وَالْكُفْرُ يَمْزِجُ مَاضِيهِ عَلَى أمْسِي

أعْدُو .. وَيَدْفَعُنِي الإيمَانُ مُنْطَلِقًا

كَي أَسْتَقِرَّ بَأَرْضِ الكُفْرِ وَالرِّجْسِ

هَذَا الوُضُوءُ عَلَى الأَطْرَافِ مُنْتَقَضٌ

جِسْمِي طَهُورٌ وَذَاكَ الرِّجْسُ فِي نَفْسِي

أَغْلَقْتُ مِنْ سَطْوَةِ السُّلْطَانِ صَوْمَعَتِي

أنَــا المُــشَرَّدُ بَــيْنَ الــرُّوحِ وَالحِــسِّ

مَـا ثَبَّـتَ اللّٰهُ جَيْـشِي حِـينَ مَعْرَكَتِـي

وَلَـيْسَ لِـي دُونَـهُ واللّٰهِ مِـنْ بَـأسِ !

*

الصَّلاةُ الخَامِسَةُ :

تُرِيـدُ فَهْـمَ كَـلامِ الحَـقِّ يَـا وَلَـدُ ؟

تَفْسِيرُ جَدِّكَ ؟ أمْ تَفْسِيرُ مَـنْ وَفَـدُوا ؟

لَـوْ أنَّ رُوحَـكَ لِلأجْـدَادِ مَـا خَـضَعَتْ

لَمَا وَجَدْتَ كِلابَ الأرْضِ قَدْ عُبِدُوا !

هَـذِي التَّفَاسِـيرُ - لـوْ دَقَّقْـتَ - بَاطِلَـةٌ

وَجَـذْوَةُ الـشَّكِ فِـي جَنْبَيْـكَ تَتَّقِـدُ

نَقُــولُ : « أرْوَاحُنَــا للّٰهِ خَالِــصَةٌ »

وأَغْلَبُ النَّاسِ للزِّنْدِيقِ قَدْ سَجَدُوا !

نَقُــولُ : « يَــا رَبَّنَــا ثَبِّــتْ عَزَائِمَنَــا »

لَكِــنْ فَرَائِــصُنَا لِلْوَغْــدِ تَرْتَعِــدُ !

*

الصّلاةُ السّادِسَةُ :

اللّهُ أكْبَـرُ أعْطَـى القَلْـبَ إيمَانَـا

واسْتَبْدَلَ القَلْبُ بالإيمَانِ كُفْرَانَا[1] !

جَيْـشِي الَّـذِي آمَنَـتْ قُوَّاتُـهُ زَمَنًـا

يَعِيشُ كُلَّ صُنُوفِ الْكُفْرِ أَزْمَانَا !

لَـوْ كَـانَ يَنْفَـعُ إِيمَـانِي لَمَـا هَرَبَـتْ

جُيُوشُنَا كَيْ يَسُوسَ[2] الأَرْضَ أَعْدَانَا

(١) التركيب اللغوي هنا صحيح ، والمعنى أننا رضينا بالكفر بعد الإيمان .
(٢) يسوس : أي يملك ويحكم .

لَــوْ أنَّ إيمَــانَنَا بِاللهِ مُكْـتَمِــلٌ

لَمَا تَرَكْنَا عَلَى الكُرْسِيِّ خَوَّانَا !

لَــوْ أنَّ قَادَتَنَــا فِــي وَجْهِــهِ انْتَفَـضَتْ

لَكَــانَ رَبُّـكَ فِـي الهَيْجَـا[1] تَوَلانَـا !

بَيْرُوت
١,٠٠

٢٠٠٣/٥/٥
صَبَاحًا

(١) الهيجاء : هي ساحة القتال .

قَبْلَ الشُرْبِ

أنَـا والكَـأسُ في الحَانَـهْ ... وقَلْـبٌ مَـلَّ إذْعَانَـهْ

أنَـا في عِيـدِ مـيلادي ... وكَـأسُ الهَـمِّ مَلآنَـهْ

وأشْـرَبُ دُونَمَـا سُـكْرٍ ... وكُـلُّ النَّـاسِ سَـكْرَانَهْ

وأنْظِمَـةٌ قَـدِ ارْتَاحَـتْ ... وكُـلُّ النَّـاسِ تَعْبَانَـهْ

وأقْنِعَـةٌ قَـدِ احْتَرَقَـتْ ... وشِـعْرٌ ... هَـدَّ أوْزَانَـهْ

ومُعْـضِلَةٌ بِـلا حَـلٍّ ... وَعُـودٌ .. مَـلَّ ألْحَانَـهْ !

وأصْـفَادُ[1] لَهَـا ألَـمٌ ... وشَـعْبٌ ذَاقَ خِذْلانَـهْ

وأسْـئِلَةٌ إجَابَتُهَـا ... تُخَلِّـي النَّـاسَ حَيْرَانَـهْ

وجَـيْشٌ ... دُونَ مَعْرَكَـةٍ ... وبَحْـرٌ تَـاقَ شُـطْآنَهْ

أرَى حَـوْلِي زَبَانِيَـةً[2] ... وإبْلِيـسًا وأعْوَانَـهْ ... !

أرَى وَطَنِـي كَقُنْبُلَـةٍ ... ووَغْـدًا سَـلَّ نِيرَانَـهْ

---

(١) أصفاد : أي قيود .

(٢) الزبانية : رجال الشرطة الغلاظ الأشداء .

أرَى نَفْسِي كَعَابِدِ لَيْـ ـلِهِ قَدْ مَلَّ قُرْآنَهْ
أرَى في القَصْرِ بُطْلانًا وصَارَ الحَقُّ قُرْبَانَهْ
لِذَلِكَ ... يَوْمُ مِيلادي أنَا.. والكَأسُ.. في الحَانَهْ..!

القَاهِرة
٣,٠٠

٢٠٠٣/٩/١٨
صَبَاحًا

في صحّةِ الوَطَنِ (*) ...

(*) هذه القصيدة ليست « مذهبي » أو وجهة نظري في المهازل التي تحدث في أوطاننا ، وأغلب ما فيها مجرد رصد لما حدث ، وانعكاساته على الإنسان البسيط ، لذلك لا مجال لاتهامي بـ « العمالة للأجنبي » ، أو « الفسق » ، فضلاً عن « الإلحاد » ! . وكل ما في القصيدة من تعبيرات مقصود متعمد ، حتى الأخطاء اللغوية ، التي هي نتيجة لتأثير الخمر على الشارب المسكين !

الكَأسُ الأُولَى :

نَعُـــدُّ الكُـــؤُوسَ عَلَـــى مَهْلِنَـــا

ونَـــشْرَبُ خَمْـــرًا فِـــدَا أرْضِـــنَا

ونَـــزْرَعُ فِي الحَقْـــلِ جَهْـــدًا جَهِيـــدًا

لِتُـــــورقَ أحْيَاؤُنَـــــا سَوْسَـــــنَا

وتِلْـــكَ الحَرَائِـــقُ شَـــبَّتْ بأرْضِـــي

تُنَظِّـــــفُ فِي جَوْفِهَـــــا مَعْـــــدِنَا

جَـوَابُ الـسُّؤَالِ ... وُضُـوحٌ مُـضِيءٌ

أنَـا ... مَـنْ يُـسَائِلُنِي مَـنْ أنَـا !

نَعُـدُّ الكُـؤُوسَ ... ونَـشْرَبُ خَمْـرًا

لِنَنْـصُرَ فِي يَوْمِنَـا مَوْطِنَـا !

*

الكَأسُ الثَّانِيَة :

ردَاءُ الحُكُومَـــةِ نِعْـــمَ الـــرِّدَاءْ !

ومَـــنْ يَتَعَـــرَّ يَعِـــشْ فِي الـــشَّقَاءْ

وُجُـــودِي وكُـــلُّ عَـــذَابَاتِ عُمْـــرِي

لأرْضِـــي أرَاهَـــا قَلِيـــلَ العَطَـــاءْ

أعِـــيشُ بِظُلْمَـــةِ « بَـــارٍ » مُـــضِيءٍ

وضَـــوْءُ الظَّـــلامِ ... ظَـــلامُ الـــضِيَاءْ

أنَـا مَالِـكُ الـنِّفْطِ فِي جَـوْفِ أرْضِـي

ومَالِـكُ أرْضِـي ... وكُـلِّ الـسَّمَاءْ

أنَـا عَاشِقُ الشَّعْبِ ... والشَّعْبُ يَشْدُو

لأرْضِـي بِكُـلِّ فُنُـونِ الغِنَـاءْ

وإنْ زَارَنِـي البَـرْدُ حِـينَ شِـتَائِي

فثَـوْبُ الحُكُومَـةِ ... نِعْـمَ الـرِّدَاءْ

*

الكَأسُ الثَّالِثَة :

إيــهِ يَــا نَفْــسُ مِــنْ مَــشَاعِرِ نَفْــسِي

هَــذِهِ الخَمْــرُ أيْقَظَــتْ فِــيَّ حِــسِّي

وَطَنِــي ... قَــدْ حَبَسْتُ فيــكَ شُــعُوري

وأنَــا لَــمْ أزَلْ وَحِيــدًا بِحَبْــسِي !

وَطَنِــي ... اليَــوْمُ يَوْمُــهُ ... وغَــدٌ قَــدْ

جَــاءَ يَزْهُــو بحُلَّــةٍ مِــنْ أمْــسِ

وَطَـــني إنْ شُـــغِلْتُ بـــالخَمْرِ عَنْـــهُ

نَـــازَعَتْني إلَيْـــهِ فِي « البَـــارِ » نَفْـــسِي !

*

الكأسُ الرّابِعَة :

نَشْوَةُ الخَمْرِ قَدْ سَرَتْ في عُرُوقِي

وسَنَاهَا يُنِيرُ عَتْمَ طَرِيقِي

والتَّفَاصِيلُ في دِمَاغِي كَسَيْلٍ

ثُورِثُ السُّكْرَ مِثْلَ خَمْرٍ عَتِيقِ

وبَدَا الشَّوْقُ دَاخِلِي أُمْنِيَاتٍ

طَعَنَتْنِي في القَلْبِ بالتَّشْوِيقِ

كُـلُّ مَـا فِـيَّ - لَـوْ تَأمَّلْـتَ - صُـلْبٌ

بَيْـــدَ أنِّـــي أحْيَـــا بقَلْـــبٍ رَقِيـــقِ

سَـــابِحٌ فِي بَحْـــرِ الهَـــوَى لِتُرَابـــي

وأرَانِـــي بَـــدَوْتُ مِثْـــلَ الغَرِيـــقِ !

*

الكَأسُ الخَامِسَة :

أعِيشُ كُلَّ شُهُورِ العُمْرِ في العَفَنِ .

لا فَرْقَ بَيْنَ رُبُوعِ الشَّامِ واليَمَنِ

أُرِيدُ أُصْلِحُ في أرْضِي مَفَاسِدَهَا

لكِنَّ سَطْوَةَ سَيْفِ الأمْنِ تَمْنَعُنِي

لَمْ يَسْمَحُوا بِدُعَاءِ اللهِ خَالِقِنَا

أوِ السُّجُودِ لغَيْرِ الحَاكِمِ الوَثَنِ

لكِـنَّهُمْ سَـمَحُوا بـالخَمْرِ أجْرَعُهَـا

لِـذَاكَ أجْرَعُهَـا ... فِي صِحَّةِ الـوَطَنِ !

*

الكأسُ السّادِسَة :

نُبِّئْـــتُ أنَّ مُـــدِيرَ الأمْـــنِ أوْعَـــدَني

والسَّيْفُ عِنْدَ مُدِيرِ الأمْنِ مَسْلُولُ !

أسْـــيَافُهُ ظَهَـــرَتْ في اللَّيْـــلِ لامِعَـــةً

لا يُشْتَكَى قِـصَرٌ مِنْهَـا ولا طُـولُ !

ورأسُ دَوْلَتِنَـــا أمْـــسَى لَـــهُ حِكَـــمٌ

لكِنَّـــهُ بعُيُـــونِ الكُـــلِّ مَخْبُـــولُ !

لَـوْ حَـدَّقَتْ فِيـهِ عَـيْنٌ حِـينَ يَخْطُبُنَـا

تَظُـنُّ أنَّ رَئِـيسَ القَـوْمِ مَـسْطُولُ !

لا يَكْفُـلُ الـرِّزْقَ ... إنَّ اللّه يَكْفُلُـهُ

لـكِنَّ مَوْتَ جَمِيعِ النَّاسِ مَكْفُولُ !

*

الكَأسُ السّابِعَة :

و « تَنْمِيَةً » قالُوا .. فَقُلْتُ : « بِرَنْقِيعُ »[1] !

أتَنْمِيَـــةٌ والحَـــالُ بَطْـــشٌ وتَرْويـــعُ ؟

وقُلْـتُ : « إلى خَلْـفٍ تَـسِيرُ دُرُوبُنَـا »

وقَالُوا : « للاسْتِثْمَارِ في الأرْضِ تَشْجِيعُ »

وقَـالُوا : « بِـأنَّ المَـالَ للكُـلِّ دَائِـمٌ »

فَقُلْتُ : « نَصِيبُ الكُـلِّ ذُلٌ وتَجْوِيـعُ »

---

(١) برنقيع : تأثير الخمر ؟ أم لغة رمزية لتجنب العقاب ؟!!!

وقَالُوا عَلَى مَا قُلْتُ : « كِذْبٌ مُؤَكَّدٌ » !

وقُلْتُ عَلَى مَا قِيلَ : « غِشٌّ وتَخْدِيعُ » !

*

الكَأسُ الثَّامِنَة :

نَصِيبِي مِنَ الخَيْرَاتِ مَنْ جَاءَ أنْقَصَهْ ؟

وإسْتِي بِجَوْفِ اللَّيْلِ يَحْظَى بِبَعْصَصَهْ[1]

وذَاكَ مَسَاءٌ فِي شَبَابِي عَشِقْتُهُ

ولكِنْ أتَى حِزْبٌ مِنَ الجُنْدِ نَغَّصَهْ

وبَطْنِي - بِرَغْمِ النِّفْطِ والزَّرْعِ - فَارِغٌ

يَعِيشُ شُهُورَ الْعُمْرِ فِي قَبْرِ مَخْمَصَهْ[2]

---

(١) البعصصة : دودة صغيرة يقال لها البعصوصة ، ولها معنى آخر متداول .

(٢) المخمصة : المجاعة .

وأمْلِـكُ خَيْـرَ الأرْضِ فَـاخْتَرَعُوا لَنَـا

نِظَامًا مِنَ البُهْتَانِ سَمَّوْهُ « خَصْخَصَهْ » !

*

الكأس التاسعة :

سَئِمْتُ مُرُورَ العُمْرِ في الجَدْبِ والشَّدِّ

وزَرْعَ بُذُورِ الحِقْدِ في عَرْصَةِ[1] الودِّ

أُؤَدِّي فُرُوضَ الدِّينِ ... والدِّينُ مُهْمَلٌ

ومَا زِلْتُ طُولَ اللَّيْلِ ألْهَجُ بالوِرْدِ

وأنْظُرُ نَحْوَ الأرْضِ مِنْ فَوْقِ رَبْوَةٍ

أعُدُّ نُجُومَ الصُّبْحِ عَدًّا عَلَى عَدِّ

(١) عرصة : أرض واسعة لا بناء فيها .

وتَحْتَـرِقُ الأَشْـعَارُ مَـعْ كُـلِّ نَكْبَـةٍ

كَعُهْـدَةِ سَـرَّاقِينَ فِي لَيْلَـةِ الجَـرْدِ !

*

الكَأسُ العَاشِرَة :

أرْضِـي الـيَقِينُ بخَـافِقِي الـشَّكَّاكِ

عُـصْفُورَةٌ تَحْيَـا بِجَـوْفِ شِـبَاكِ

أهْـوَاكِ كُرْهًـا قَـدْ تَفَجَّـرَ دَاخِلِـي

مِـنْ سَـطْوَةٍ للقَائِـدِ الأفَّـاكِ !

أعْطَيْـتِني حُبًّـا تَمَلَّـكَ مُهْجَتِـي

فَلَعَنْتُـهُ ... ولَعَنْـتُ مَـنْ يَهْـوَاكِ !

رُدِّي إلَـــيَّ مَـــشَاعِري وقَـــصَائِدي

أوْ أعْطِـني بـالخُبْزِ بَعْـضَ رِضَـاكِ !

أوْ أنْـــسِنِي جُـــوعِي الـــذِي عَانَيْتُـــهُ

أو ألْهِمِـــيني اليَـــوْمَ أَنْ أنْـــسَاكِ ... !

الكَأسُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ :

الـــــدِّينُ ... والأرْضُ الحَبِيبَـــــهْ

كَلِمَـــــاتُ تَخْـــــدِيرٍ عَجِيبَـــــهْ !

والثَّـــــــوْرَةُ العَصْـــــمَاءُ .. والـ

ـوَطَـنُ المُعَـــــــذَّبُ .. والعُـرُوبَـهْ ..

مَـــــاذَا سَـــــتَنْفَعُنَا وقَـــــدْ

أمْـــــسَتْ إرَادَتُنَـــــا سَـــــلِيبَهْ ؟

أمْـــسَى الْـــيَقِينُ بِهَـــا - وَجُـــو

عُ الْـــبَطْنِ يَمْلِكُنَـــا - كَرِيبَـــهْ !

*

الكأسُ الثانيةَ عشْرَةَ :

صَـــوْتِي بِحَقِّـــي يَـــسْكُتُ

والخَـــــوْفُ زَرْعٌ يَنْبُـــــتُ

وأمُـــــدُّ كَفِّـــــي لِلْعَـــــدُوِّ

وفي رَئِيـــــسِيَ أَشْـــــمَتُ !

والحَـــــامِلُونَ سُـــــيُوفَهُمْ

عِنْـــــدَ الطِّعَـــــانِ تَـــــشَتَّتُوا !

قَـــــدْ خَلَّفُونَـــــا حَـــــسْرَةً

ومَتَـــــى أفَـــــادَتْ حَـــــسْرَةُ ؟

*

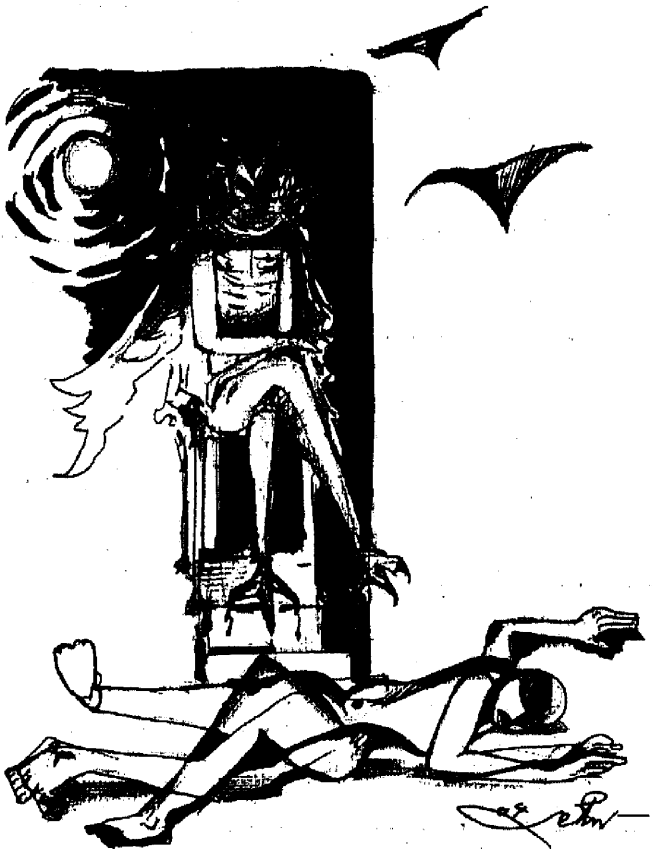

الكَأسُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ[1] :

لَعَـــــنَ اللّهُ الـــــسِّيَاسَهْ

وقُـــــصُورًا للرِّيَاسَـــــهْ

سَـــاكِنُ القَـــصْرِ دَوَامـــًا

أكْثَـــرُ النَّـــاسِ نَجَاسَـــهْ !

كُـــلُّ مَـــا فِيـــهِ غَبَـــاءٌ

مَـــا بِـــهِ أيُّ كَيَاسَـــهْ[2]

---

(١) يبدو أنه سكر !!!

(٢) الكياسة : الذكاء .

وإذَا قِيـــــــلَ : « شَـــــــريفٌ »

قُلْـتُ : « بَـلْ أصْـلُ الخَـسَاسَهْ » !

*

الكأسُ الرابعةَ عشْرةَ :

كَرِهْـــتُ ثُـــرَاثَ أجْـــدَادِي !

ونَهْـــضَتَنَا ... بِالْحَـــادِ[1] !

وخَيْـــرُ وَظِيفَـــةٍ فِي الكَـــوْ

نِ قَـــوَّادٌ ... لِقَـــوَّادِ !

وكَـــأسُ الخَمْـــرِ والـــدُّولا

رُ والنِّـــسْوانُ أسْـــيَادي !

---

(١) ألهذا حرم الله الخمر ؟؟؟

ويَـــسْقُطُ كُـــلُّ دِيـــنٍ لَيْـــ

ـــــسَ يُـــــشْبِعُني وأوْلادِي !

كَرِهْـــــتُ اللّهَ ... عَـــــذَّبَني ..

وأوْلادِي .. وأحْفَـــــــــادِي !

*

الكَأسُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ :

حَيَـــــاتي عِـــــشْتُهَا مُـــــرَّهْ

ودَرْبِـــــي كُلُّـــــهُ عَثْـــــرَهْ

شَـــهَقْتُ الحُلْـــمَ في صَـــدْري

ومَـــــا أخْرَجْتُـــــهُ زَفْـــــرَهْ !

حُكُومَـــــاتٌ تُـــــضَاجِعُني

وتَـــــسْرِقُني عَلَـــــى غِـــــرَّهْ

بَكَـــــارَةُ قَلْبِـــــيَ المِـــــسْكِيِ

ـــــنِ تَنْـــــزِفُ قَطْـــــرَةً ... قَطْـــــرَهْ

ووَعْـــــدُ اليُـــــسْرِ بَعْـــــدَ العُـــــسْ

ـــــرِ لَـــــمْ يَـــــصْدُقْ ولا مَـــــرَّهْ

وطَبْـــــعُ الحَـــــاكِمِ الجَبَّـــــا

رِ سَـــــفَّاحٌ لَـــــهُ خِبْـــــرَهْ

ولَـــــمْ آمُـــــلْ بِـــــهِ خَيْـــــرًا

فَحَـــــسْبِي أتَّقِـــــي شَـــــرَّهْ !

*

الكأسُ السّادِسَةَ عَشْرَةَ :

أيَا وَطَني ... كَفَاكَ مِنَ ابْتِزَازِي !

أنَا جِدٌ ... وأنْتَ الآنَ هَازِي[1] !

أُرِيدُ أرَاكَ في أعْلَى المَعَالِي

وأنْتَ .. تَعِيشُ عُمْرَكَ في المَخَازِي

أجُودُ إلَيْكَ مِنْ نَفْسِي ومَالي

لأحْظَى مِنْكَ أكْلاً بالبُرَازِ !

---

(١) هازي : أي هازئ .

تُجَـــازِيني عَلَـــى شِـــعْري بِجُـــوعٍ

لَعَمْـــري ... ذَاكَ أسْـــوَأُ مَـــا تُجَـــازِي

فَقِـــيرًا بِـــتُّ رَغْـــمَ ثَـــرَاءِ أرْضِـــي

بـ « فُوسْفَاتٍ » و « بِتْرُولٍ » و « غَـازِ »

تَقَوْقَـــعَ عَزْمِـــيَ المَكْـــسُورُ هَمًّـــا

ولَـــمْ أقْبَـــلْ بِعِـــزِّي مِـــنْ تَعَـــازِ

وبَعْـــدَ مَمَـــاتِ عِـــزِّي مِـــنْ قُنُـــوطٍ

تَمَلَّـــكَ مَـــوْطِني جَـــيْشٌ لِغَـــازِ !

*

الكأسُ السّابِعَةَ عَشْرَةَ :

تَمَهَّلُـــوا ... تَمَهَّلُـــوا ... تَمَهَّلُـــوا

ذَاكَ الغَريـــبُ بُرْهَـــةً ... ويَرْحَـــلُ !

لا تَزْعُمُـــوا الـــصُّمُودَ في مَعْرَكَـــةٍ

لأنَّكُـــمْ في الانْبِطَـــاحِ أفْـــضَلُ !

خَمْسُونَ عَامًـا كَـانَ كُـلُّ مَـا بِهَـا

يَعْلُـو ، وكُـلُّ هَمِّكُـمْ أنْ تَسْفُلُوا !

الأجْنَبِـــيُّ جَـــاءَ كَـــيْ يَرْحَمَنَـــا

والـسِّعْرُ .. كُـلُّ الـنِّفْطِ .. فَلْتُهَلِّلُـوا !

بَـــلْ حَقُّـــهُ - واللّهِ - أنْ نَـــشْكُرَهُ

أَلَـــمْ نَكُـــنْ مِـــنْ قَبْلِـــهِ نُقَتَّـــلُ ؟

يَـــا حَـــضْرَةَ الـــزعِيمِ فَلْتَرْفِـــقْ بِنَـــا

فإنَّنَـــــا - ورَبِّنَـــــا - نُبَجِّـــــلُ

هَـذِي الغُـزَاةُ بَعْـضُ حَـصْدِ زَرْعِكُـمْ

ومِثْـــلُكُمْ عِنْـــدَ الطِّعَـــانِ يَرْحَـــلُ !

*

الكَأسُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ :

كُـــنْ أمِـــيرًا ... تَمَـــدَّحُ[1]

أوْ بَغِيًّـــــا ... تَـــــرَبَّحُ

كُـــنْ رَئِيـــسًا ... أوْ خَادِمًـــا

لِـــــرَئِيسٍ يُـــــذَبِّحُ

فِيـــهِ تُزْجَـــى قَـــصَائِدٌ

ولَـــهُ النَّـــاسُ سَـــبَّحُوا !

---

(١) تَمَدَّحُ : أصلها تَتَمَدَّحُ ، وحُذِفت التاء للتخفيف ، ومثلها تَرَبَّحُ .

قَـــدْ غَـــدا - رَغْـــمَ قَتْلِنَـــا -

باسْـــمِهِ الكُـــلُّ يَنْـــبَحُ !

وَصْـــفُهُ - بَعْـــدَ ذبْحِنَـــا -

عَبْقَـــرِيّ ... ومُـــصْلِحُ !

الكأسُ التاسِعَةَ عَشْرَةَ :

بِـــــذْرَةُ الظُّلْـــــمِ أثْمَـــــرَتْ

وسُـــــيُوفِي .. تَكَـــــسَّرَتْ

أجْنَبِـــــيٌّ يَـــــسُوسُنِي (١)

وَأَرَاضِـــــينَا اسْـــــتُعْمِرَتْ

قَـــــدْ وَأدْنَـــــا رِجَالَنَـــــا

كَنِـــــسَاءٍ تَعَهَّـــــرَتْ

---

(١) يسوسني : أي يحكمني ويملك أمري .

وجُيُـــــــوشٌ مِـــــــنَ العِـــــــدَا

فَوْقَنَـــــــا قَـــــــدْ تَجَبَّـــــــرَتْ

وجُيُـــــــوشٌ لأرْضِـــــــنَا

إنْ أتَـــــى الـــــضَّرْبُ .. أدْبَـــــرَتْ !

الكَأسُ العِشْرُون[1] :

والسِّفْلَةُ تَحْكُمُ في وَطَني ...
والخَمْرُ - بِرَغْمِ نُصُوصِ الشَّرْعِ
تُحَرِّمُ - مَا زَالَتْ وَثَني ... !
والحَاكِمُ يَمْلِكُ كُرْبَاجًا ...
إنْ أسْكُتْ عَنْ مَدْحٍ ..
فَبِمَدحٍ يُنْطِقني ... !
وإذَا فَكَّرْتُ بِذَمِّ الذَّاتِ العُلْيَا
في يَوْمٍ ...

(١) هل فقد قدرته على التركيز فأسقط القافية ؟

فالحَاكِمُ - جَلَّ - يُحَرِّكُ جَيْشًا

يَقْتُلُني ... !

الفُولُ .. طَعَامٌ جَوَّعَني ...

ومَوَائِدُهُمْ ...

تَتَبَاهَى « بالكَافْيَارِ » ...

تُعَيِّرُنِي ... !

والعُرْيُ بَدَا لَهُمُو ..

إغْرَاءْ ...

والسِّتْرُ بَدَا لي

- إنْ فَكَّرْتُ بِمَعْنَى جَوْهَرِ

مَعْنَى السِّتْرِ -

كَمَا كَفَنِي ... !

أُنْسِيتُ الفَرْقَ دَوَامًا بَيْنَ

رَئِيسِ الدَّوْلَةِ ...

والوَطَنِ ... !

قَيْءٌ ثُمَّ قَيْءٌ ... وبَعْدَهُ [1]:

لَعَنَ اللّه الملك وابْنَهْ ... !

لَعَنَ اللّه الأمير وابْنَهْ ... !

لَعَنَ اللّه السلطان وابْنَهْ ... !

لَعَنَ اللّه الرئيس وكُلَّ أبْنَائِهْ ... !

لَعَنَ اللّه الوَزِيرْ ووَكِيلَ الوَزَارَهْ ...

والمُدِيرْ ... ونَائِبَ المُدِيرْ ...

ومُدِيرَ القِسْمْ ... والمُوَظَّفِين ...

والسَّاعِي ... والغَفِيرْ ...

---

(١) لقد أسقط الوزن أيضًا !!!

لَعْنَةُ اللهِ عَلَيَّ ...

وعَلَى كُلِّ مَنْ أعْرِفُ ...

ومَنْ لا أعْرِفُ ... !

أيُّهَا الوَطَنُ

المُتَأَلِّقِ بِخُضْرَةِ هَذَا البَحْرِ

الصَّخْرُ المُتَشَرِّبُ مِنْ تَفَاصِيلُ

اللَّوْنُ المُتَجَعِّدِ بالمَلْسَاءُ

البَيْضَاءَ السَّوْدَاءَ

الزَّاهِيَةِ بِحُلْكَةِ

إشْرَاقِ الشَّمْسِ بِلَيْلُ

الظُّهْرُ المُورقِ

خَرِيفًا فِي شِتَاءُ

الصَّيْفِ البَارِدُ بِفِعْلِ حَرَارَةُ

طَعْمِ الوَرْدِ عَلَى نَخْلَةِ

صَحْرَاءِ الغَابِ القُرْمُزِيُّ

المُورقِ هُيُولي

الجَسَدِ البَضِّ

مِنْ جَدَبُ الأَرْضِ

المُنْحَدِرَةِ سَمَاءً

مِنْ حُجْرَةِ

نُورًا وَارِفٍ ...

لَعَنَ اللّهُ الوَطَنْ ... !

لَعَنَ اللّهُ الوَطَنْ ... !

لَعَنَ اللّهُ الوَطَنْ ... !

لَعَنَ اللّهُ الوَطَنْ ... !

لَعَنَ اللّهُ الوَطَنْ ... !

لَعَنَ اللّهُ الوَطَنْ ... !

ثُمَّ قَيْءٌ أخِيرٌ ...

ونَوْمٌ ...

البِدَايَة : في مَطَارِ القَاهِرَة ، في التَّاسِعِ مِنْ
إبْرِيل ٢٠٠٣ (يوم سقُوطِ بغداد في يد الأمريكان)
النِّهَايَة : في القَاهِرَة بَعْدَ عِدَّةِ أسابيع استغرقتها
كتابةُ هذه القصيدة